ما هو مستقبل الشباب الفلسطيني في الأردن؟

جيسون هارت

منى ابنة الاثني عشرة ربيعا

كانت منى ابنة الاثني عشرة ربيعا تستيقظ حوالي الساعة السادسة صباحا في الأشهر التي كانت ترتاد «الفترة الصباحية» في المدرسة، وعادة ما تكون أختها رندا، وعمرها عشرين عاما، هي أول المستيقظين، وبعد أن تؤدي رندا صلاتها، تنشغل في التحضيرات الأخيرة قبل ذهابها إلى العمل، وسرعان ما تجلس أم خالد على فرشتها الرقيقة وهي تراقب التحضيرات التي تقوم بها ابنتها لتقدم التحذيرات والنصائح، وبعد أن تتناول منى كوبا سريعا من الشاي وقطعة من الخبز، تخطي منى من حول أخوتها الأكبر سناً المستغرقين في النوم على الأرض، وتتجه إلى الشارع الرئيسي لتسير خمسة دقائق قبل أن تصل إلى المدرسة، وبينما تشق منى طريقها عبر الصف الدراسي الضيق الذي تشاركها فيه ٤٨ تلميذة أخرى، تحشر منى نفسها داخل مقعد صغير إلى جانب أفضل صديقاتها واسمها ليلى، وباستثناء فترة الراحة التي تبدأ حوالي الساعة ٩ صباحا، تظل منى وزميلاتها في الصف الدراسي منهمكات في دراستهن حتى نهاية اليوم الدراسي الساعة ١١:١٥، وينطلق جرس المدرسة وراء منى وحشد من صديقاتها وهن يخرجن من بوابة الملعب، وتتوقف منى فقط لشراء الخبز لوالدتها ووجبة خفيفة لها، لتعود إلى منزلها بعد ذلك لتغيير الزي المدرسي وتشترك في المهام المنزلية المزعجة، حيث تمضي بقية يومها في الطهي، وغسل الصحون، وإعداد الشاي للضيوف أو أفراد العائلة، والاعتناء بأبناء وبنات إخوتها، وتقوم منى بعمل واجباتها المدرسية بين تلك المهام المختلفة وتشاهد بعض برامج التلفاز حتى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة مساء عندما تضع فرشة على الأرض إلى جانب أختها رندا وتخلد إلى النوم.

إن الحياة اليومية لمنى تتشابه في جوانب كثيرة مع حياة الفتيات الأخريات من نفس عمرها من العائلات الفقيرة في أنحاء العالم العربي، وهي نظام هادئ من الدراسة والواجب المدرسي في ظروف خانقة في ظل فرص قليلة نسبية من الراحة، ولكن حياة منى ومستقبلها هما الهدف المباشر للخطاب السياسي والمفاوضات على المساويات المحلية والقومية والدولية - حيث ولدت منى ابنة الاثني عشرة ربيعا وتحيى في مخيم الحسين وهو مخيم للاجئين تديره الأونروا ويسكنه ٥٠,٠٠٠ نسمة في عمان، ووُلد أجدادها في قرى فيما أصبحت إسرائيل في عام ١٩٤٨، وولد والديها في غزة في الوقت الذي خضعت فيه غزة للحكم المصري، وفروا إلى الأردن عقب حرب ١٩٦٧، ويندرج اسم منى في الكتاب الأزرق الصغير الذي تحتفظ به عائلتها وهو يثبت أنهم مسجلين كلاجئين في سجلات الأمم المتحدة، وقد تم الإعلان عن حق منى وعائلاتها وجيرانها في العودة إلى فلسطين صراحة في قرارات الأمم المتحدة، وظل حق العودة مركزا لحوارات اللاجئين والحوارات التي تدور عنهم منذ عام ١٩٤٨.

وفي نفس الوقت، تعتبر منى أردنية الجنسية من جوانب عدة، حيث أنها ولدت في الأردن، وباستثناء ذهابها في رحلة قصيرة إلى العراق منذ عدة سنوات مضت، فهي لم تغادر الأردن أبدا، وبالرغم من أن المجتمع الدولي يدفع مقابل تعليمها ومدرسيها في المدرسة هم لاجئون أيضا، إلا إنها تستذكر المنهج الأردني، ويحمل أبواها وجميع إخوتها الأكبر منها سنا جوازات السفر الأردنية وستحصل هي عليه أيضا قريبا، ولكن بما أنهم يعتبرون «من أهل غزة»، يجب عليهم أن يجددوا جوازات سفرهم كل سنتين بدلا من نظام الخمس سنوات المعهود، حيث تنجم بعض القيود مع حالة اختلاف الجنسية هذه.

إن تعثر عملية سلام أوسلو وهجرها في نهاية الأمر، وهي العملية التي كانت ستتم فيها مناقشة مصير قرابة الخمسة ملايين لاجئ، أدت إلى ترك مستقبل الشباب من أمثال منى ليصبح مستقبلا غامضا؛ هل سيكون مستقبلها هو الجيل الذي سينهي حقبة المنفى التي دامت لأكثر من نصف قرن من الزمان ويسترجع الوطن؟ هل سيتم استيعابهم ودمجهم تماما في المجتمع الأردني؟ هل ستتسبب الظروف الاقتصادية والسياسية في مغادرتهم للأردن بحثا عن فرص أفضل في الخارج، كما فعل الكثيرون من قبل؟ هل ستسمح الدول الأخرى بمثل هذه الحركة في وقت تزداد في السيطرة على الحدود؟ أم هل ستكون منى وجيلها أداة لخلق مجتمع مناصر للإسلام، متجاوزا لهذه الحدود القومية؟

منى في سن الحادية والعشرين

كنت قد طرحت هذه الأسئلة في أطروحة الدكتوراة التي أتممتها في أواخر تسعينيات القرن الماضي، واليوم منى متزوجة، وربما ستصبح أُما في القريب العاجل، وسيكون أطفالها جزءا من جيل جديد سيبدي «المجتمع الدولي» اهتماما ربما يقل عن الاهتمام الذي أبداه لآبائهم لا يزيد عن توفير السكن لهم وتقديم الحد الأدنى من الخدمات على أمل أن ستزول «مشكلة» اللاجئين بشكل ما، ولكن منى لن تنسى أبدا وطن والديها الأصلي، كما لن تنسى سبب تنشئتها في مخيم فقير للاجئين «من أهل غزة»، وسيعلم أطفالها ذلك أيضا. ما هو مستقبلهم؟

جيسون هارت هو باحث علوم إنسانية اجتماعي، ومحاضر في مركز دراسات اللاجئين في جامعة أكسفورد، وبريده الالكتروني:
.jason.hart@qeh.ox.ac.uk

مدير جديد لمركز دراسات اللاجئين

يسر مركز دراسات اللاجئين عن إعلان تعيين البروفسور روجر تزيتر كمدير جديد لمركز دراسات اللاجئين في جامعة أكسفورد اعتبارا من الأول من شهر أكتوبر/ تشرين الأول. وينضم البروفسور روجر تزيتر إلينا من جامعة أكسفورد بروكس. وتشمل أبحاث ودراسات البروفسور تزيتر آثار ووقع المساعدات الإنسانية الدولية، وتجارب التهجير والنفي الطويلة الأمد، وإعادة التوطين وإعادة الإعمار والبناء بعد انتهاء النزاعات. ويركز عمله بشكل أساسي على منطقة جنوب إفريقيا والشرق الأوسط، كما انتقل في اهتمامه مؤخراً إلى دراسة هذه القضايا في أوروبا لبحث واكتشاف أسباب وعواقب الردع والقيود الأوروبية على المهاجرين.

Refugee Studies Centre

www.rsc.ox.ac.uk